موضوعات وصف المعركة في شعر الفتوحات الإسلامية
- دراسة موضوعية-

د. إلهام إسليّم سليمان القرالة*

تاريخ وصول البحث: 2021/09/23م **تاريخ قبول البحث: 2022/01/19م**

ملخص

ترمي هذه الدراسة لاستجلاء موضوعات وصف المعركة في الشعر العربي إبان فترة الفتوحات الإسلامية، حيث شهدت تلك الفترة حركة شعرية رافقت فتوحات المسلمين في الأقطار كافة، فهنالك أشعار قالها شعراء سبق لهم قول الشعر ونظمه، في المقابل ظهرت أشعار لشعراء أنطقتهم الفتوحات الإسلامية، وكانت تلك الأشعار ضمن سياق ديني ووصفي لحروب المسلمين في الفتوحات.

وكان لتلك الفتوحات أَثرٌ بارزٌ في إغناء جميع الحقول الدراسية والبحثية، فقد تناولها دارسو التاريخ من منظور تاريخي، وأيضاً تناولها الباحثون في جوانب أخرى كالجانب الديني، والفكري، والسياسي، وغيرها.

أَما في حقل الأَدب، فقد أثرت تلك الفتوحات ساحة الأدب بالأشعار التي قيلت خلالها، وبرزت في تلك الأشعار مضامين تتوافق مع تعاليم الدين والعقيدة الإسلامية، حيث تمثلها الشعراء في صدد وصفهم لمجريات المعارك التي حمل رايتها المسلمون، ووفقاً لذلك فإن هذه الدراسة تعنى بالحديث عن موضوعات وصف الشعراء للمعركة في الفتوحات الإسلامية، حيث كانت هذه الموضوعات تتمحور في الحث على الجهاد، وطلب الشهادة، ووصف أسلحة القتال بمختلف أشكالها، ووصف الخيل، ووصف القادة والمجاهدين ومجريات المعركة.

الكلمات الدالة: المعركة، الفتوحات الإسلامية، الجهاد، المسلمين.

Topics Describing the Battle in the Poetry of Islamic Conquests: A Thematic Study

Abstract

This study aims to clarify the themes describing battles in Arabic poetry during the period of the Islamic conquests as that period witnessed a poetic movement that accompanied the conquests of Muslims in all countries. There were poets composed by poets who had previously said poetry and organized it. On the other hand, there were poems that were appeared by poets who were uttered because of the Islamic conquests, and those poems were within a religious and descriptive context of Muslim wars in the conquests. These conquests had a prominent impact in enriching all fields of study and research, as scholars of history dealt with them from a historical perspective, and researchers also dealt

* أستاذ مساعد، كلية الكرك الجامعية، جامعة البلقاء التطبيقية – ilhamalgaralih@yahoo.com

with them in other aspects such as the religious, intellectual, and political aspects, among others.

In the field of literature, these conquests affected the field of literature with the poems that were said during that period, and in these poems, content that corresponds to the teachings of religion and Islamic belief emerged, as poets represented them in the course of describing the course of the battles that the Muslims carried their banner, and accordingly, this study is concerned with addressing the topics of poets' description for the battle in the Islamic conquests, where these topics centered on urging jihad, asking for martyrdom, describing weapons of combat in its various forms, describing horses, describing leaders and fighters, and the course of the battle.

Keywords: Battle, Islamic Invasions, Jihad, Muslims.

المقدمة.

إن تتبع موضوعات وصف المعركة في شعر الفتوحات الإسلامية يُعدّ السّمة البارزة لهذه الدراسة، حيث عكفت الباحثة على تبيان تلك المضامين والجوانب الموضوعية التي رافقت وصف المعركة في مخيلة الشعراء في فترة الفتوحات الإسلامية، ولهذا فقد وقع اختيار الباحثة على هذا الأمر.

أهمية الدراسة.

على الرغم من وجود دراسات سابقة تناولت الصورة الفنية والشعرية في شعر الفتوحات الإسلامية مثل "الصورة الفنية" في شعر الفتوحات الإسلامية وكتاب "شعر الفتوحات الإسلامية" للنعمان القاضي، إلاّ أن هذه الدراسة انمازت بكشفها عن المضامين والموضوعات التي خلت من الصنعة والزخرفة عند شعراء الفتوحات الإسلامية، وأسهمت ببناء الجانب الفني عند الشعراء، لذلك قامت الباحثة بتناول نماذج متعددة لشعراء مختلفين شهدوا تلك الفتوحات.

أهداف الدراسة.

إن المطلب الرئيس في هذه الدراسة هو تبيان مضامين وصف صورة المعركة في شعر الفتوحات الإسلامية، ولذلك عمدت الباحثة للكشف عن أهم الموضوعات والمضامين التي ظهرت في وصف المعارك عند شعراء الفتوحات الإسلامية، فجاءت هذه الدراسة متضمنة للجزئيات التالية:

- مهاد حول الفتوحات الإسلامية، وحركة الشعر خلالها.
- موضوعات وصف المعركة:
  - الحث على الجهاد وطلب الشهادة.

- وصف أسلحة المعركة.
- وصف الخيل.
- وصف المجاهدين ومجريات المعركة.

سبب اختيار الدراسة.

جاء دافع دراسة موضوعات وصف المعركة في شعر الفتوحات الإسلامية لتسليط الضوء على ذلك الوصف الذي انبعث من ساحات القتال والجهاد، فالدراسة لم تشتمل على شعر الحنين إلى الأهل والديار مثلاً، ولم تورد الباحثة أيضاً شعر الرثاء الذي أعقب تلك المعارك، وإنما كان التركيز على تلك الصور التي قيلت بحماسة في أرض المعركة.

مشكلة الدراسة.

لم تواجه الباحثة مشكلات في منهجية الدراسة، فالصورة والوصف تعد من حقول الدراسات التي أثرت ساحة الأعمال الأدبية، ولكن كان هنالك عائق يتمثل بشح الدواوين التي تحمل أشعار الفاتحين المسلمين آنذاك، فكان البديل العودة لأمهات الكتب القديمة التي حملت ترجمة، وشعراً، وسيراً، وأحداثاً لوقائع الفتوحات الإسلامية، لذا وجب التنويه هنا أن هذه الدراسة اعتمدت على دواوين شعراء الفتوحات الإسلامية، والشعراء الذين ورد شعرهم في كتب التاريخ والتراث، وكذلك الدراسات السابقة للموضوع.

وعليه، فقد اعتمدت الباحثة لجلاء هذه الموضوعات على تقصي النماذج الشعرية الدالة عليها، وذلك من خلال المنهج الوصفي التحليلي.

مهاد حول الفتوحات الإسلامية وحركة الشعر خلالها.

كانت الحروب شيئاً ملازماً لحياة العرب منذ القدم، فمنذ العصر الجاهلي قامت كثيرٌ من الحروب لأسباب متعددة منها الماء أو الكلأ، ومنها الأسباب القبلية وتلك المشاحنات التي كانت تدبُّ بين القبائل لأغراضٍ مختلفة، وكانت هذه الحروب والمعارك وقائعاً خلدتها الروايات وأشعار العرب على مرّ العصور، حيث صور الشعراء في تلك الوقائع مجريات الأحداث بكافة نواحيها.

وجاءت الفتوحات الإسلامية لتحمل سبباً دينياً لقيامها، وبدأت تلك الفتوحات منذ عصر صدر الإسلام، وكان نشر الإسلام الهدف السامي لتلك الفتوحات في شتى بقاع الأرض، وقد وضع قادة المسلمين وجندهم نصب أعينهم مهمة رفع راية الإسلام، وإيصال دين الإسلام للأرجاء كافة، فداعي الفتوحات هو الجهاد في سبيل الله تعالى، وذلك أسمى غايات المسلمين، حيث توحّدت أُمة العرب من المسلمين حول هذا الغرض السامي، بعد أن كانت أمة متناحرة تتعاورها الفتن والنزاعات، فاستطاعت أن تتغلب على ما يعتورها من أسباب ضعف، وأن تبني على ما هدمته من الإمبراطوريات العظمية

كياناً للمسلمين العرب، و"إن هذه لمعجزة بلا ريب، ووجه الإعجاز فيها أنها حدثت بأيدي العرب الذين كانوا إلى سنوات قبائل متنافسة، لا تهدأ منازعاتها، ولا تطمئن فيما بينها إلى قرار، وبدهي أن قيام الإسلام هو أول هذه العوامل التي حققت المعجزة، فهو الذي وحَّدَ العرب بعد شتات، وجعل قبائلهم المتنافرة أُمة متضافرة "[1].

وكان الإيمان بالله تعالى بصدقٍ الدافع لتآلف قلوب المسلمين وانضوائهم تحت راية واحدة، " فجمع بينهم بما سنَّ من نظم روحية واجتماعية، دفعت في أفئدتهم قوة معنوية عظيمة، وحفزتهم للاندفاع إلى ما وراء تخوّفهم ومواجهة الفرس والروم في أعقار دورهما، وهذه القوة المعنوية هي أسس الظفر في كل نضال، فصاحبها لا يعرف الهزيمة ولا يرضاها، ويستهين بكل صعب، بل يستهين بالحياة نفسها في سبيل الظفر بالغاية التي يريد بلوغها"[2].

ومن الأهداف التي جاء من أجلها الجهاد وتلك الفتوحات رفع المظلمة عن المستضعفين الذين تجنَّت عليهم قوى الظلم والاستبداد، حيث كان هذا الفعل تلبية للدعوة الإلهية، إذ قال تعالى في محكم تنزيله: ﴿**وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا * الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ ۖ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا**﴾[النّساء: 75-76].

وامتدت فترة تلك الفتوحات منذ عهد الخليفة أبي بكر الصديق ﷺ مروراً بخلافة عمر بن الخطاب ﷺ، وعثمان ابن عفان وعلي بن أبي طالب – رضوان الله عليهما –، ومن جاء بعدهم من الخلفاء والقادة المسلمين الذين حملوا لواء الدين والدفاع عنه.

ولم تكن أيام الفتوحات الإسلامية بمعزل عن الحياة الأدبية، إذ أسهمت في تغذية ساحة الشعر بالدين وتعاليمه الجديدة، فتأثر الشعراء في عهد الفتوحات بتعاليم الدين الإسلامي، واستطاعوا أن يوجهوا أشعارهم وجهة الدين، فالشعر منذ القدم يتوطن في نفس العربي كيفما كانت ظروفه، ويستخدمه صاحبه للتعبير عن قضايا عصره وما يستجد في بيئته.

ولذلك جاء شعر الفتوحات مواكباً لتلك الأحداث وسائراً مع تعاليم الدين الإسلامي، فهجر الشعراء أغراض الشعر المناكفة للدين والعقيدة، وأصبح الشعر متوجهاً للدعوة الإسلامية والنضال في وجه خصومها، وأيضاً برزت موضوعات أخرى للشعر في عهد الفتوحات غير الدعوة للإسلام، كالحث على الجهاد في سبيل الله تعالى، وطلب الشهادة، وأيضاً وصف أسلحة القتال في تلك الفتوحات، بالإضافة لوصف الخيل التي كان يمتطي صهوتها المقاتل المسلم، ناهيك عن وصف أفعال القادة ومجريات المعارك التي كانوا على رأس قيادتها، " فشعر الفتوح هو شعر بطولة ومواجد ووصف للحروب"[3].

والشعر العربي منذ نشأته يعدُّ لسان حال أهل المجتمع، وهو سلاح معنوي اهتمّ به الإنسان العربي على مرّ العصور حتى يومنا هذا، فلا غرابة أن يكون الشعر من أسلحة ودعائم الدعوى الإسلامية، فأصبحت رسالته في فترة الفتوحات الإسلامية سليمة قويمة لا تعرف فحشاً أو رذيلةً، وأصبح الشعر يتغذى من تعاليم الإسلام وروحه السمحة متأثراً بسمو الأخلاق، والصفات الحميدة.

ولا يفوتنا الأمر في هذا الصدد أن نشير لذلك التشابه الذي يجمع بين شعر الفتوحات في الإسلام وشعر الفخر قبله،

ولكن مع وجود فارق بينهما، إذ يكاد " لا يخرج شـــعر البطولة هذا عن أن يكون لوناً من ألوان الفخر الذي عرفته الحياة الجاهلية، غير أنه اكتسى هذا الصبغ الإسلامي الخفيف أو القوي، فهو يتحدث عن الإسلام والدين، وهو يذكر الله والرسول ﷺ، وهو يصدر عن روح الجماعة أكثر مما كان شعر الفخر الجاهلي الصادر عن الفرد والقبيلة"[4].

ولذلك كان للفتوحات الإسلامية أثر بارز في إشعال جذوة الشعر حينها، حيث أخذ الشعراء الفاتحون يحضّون على الجهاد، فاشتعلت المنافسة على الاستشهاد بين صفوف المسلمين المجاهدين، فأشادوا بتلك البطولات، وأيضاً أشادوا بقدرتهم وعزائمهم التي واجهوا بها الأعداء، وقدم الشعر والشعراء في تلك المرحلة حافزاً للناس للدفاع عن الإسلام، والعمل على نشره.

موضوعات وصف المعركة في شعر الفتوحات الإسلامية.

1- **<u>الحث على الجهاد وطلب الشهادة.</u>**

أشعلت الفتوحات الإسلامية فتيل النفور في سبيل الله تعالى، وجعلت نفس المسلم المحارب توَّاقة للجهاد في سبيل رفع راية الإســـلام والدفاع عنه، وجعلته متأهباً لأمرين لا ثالث لهما، إمَّا النَّصـــر وإمَّا الشـــهادة للقاء وجه الله تعالى، فكانت جذوة الإسلام زاد تلك النفوس المقاتلة، وعُدّت بذلك ملمحاً بارزاً من ملامح المعركة وساحات القتال، فاستطاع عدد من الشعراء أن يوظف هذا المضمون في قصائده التي رافقت تلك الفتوح؛ لتصبح جزءاً لا يتجزأ من موضوعات المعركة والحديث عنها.

ومن الأشعار التي قيلت في هذا الجانب قول الصحابي الجليل ضرار بن الأزور ﷺ، حيث ظهرت قضية التسليم بالموت عنده واضحة، وكأنها رسالة منه للجميع بأن ينفروا في سبيل الله، فالجنَّة هي دار النعيم التي تنتظر مجيء الشهداء الذين قضو نحبهم تلبية لمرضات الله، إذ قال:

المَوْتُ حَقٌ أَيْنَ لِي مِنْهُ الـــــمَفَرْ وجَنَّـــةُ الفِرْدَوسِ خَيْرُ المُسْتَقَـــرْ

هَذَا قِتَالِي فَاشْـهَدُوا يا مَنْ حَضَـرْ وكُلُّ هَذَا فـــي رِضَا رَبّ البَشَـرْ[5]

وبقيت هذه الفكرة تطرق أذهان المسـلمين المجاهدين في الفتوحات الإســلامية، حتى أنطقت من لم يكن شــاعراً مسبقاً، ففكرة الحث على الجهاد وطلب الشهادة رافقت تفكيرهم في تلك الفتوحات، فالصحابي الجليل والقائد المسلم خالد ابن الوليد ﷺ قد أثارت فتوحات المسلمين قول الشعر في نفسه، حيث قال:

هُبُّـــــــوا جَمِيعَاً إِخْوَتِي أَرْوَاحاً نَـحْوَ العَـدُوّ نَبْتَـغِي الكِفَـاحَـا

نَرْجُو بِـذَلِـكَ الفَوْزَ والنَّجَـاحَـا إِذَا بَذَلْنَا دُوْنَـــــــــــهُ أَرْوَاحَا

ويَـــــــرْزُقُ اللهُ لنَا صَـــــلاحَا في نَصْـــرِنَـا الغَـدْوَّ والرَّوَاحَـا[6]

فهذه دعوة من القائد العسكري المسلم يوجهها لجماعة المجاهدين المسلمين، حيث فيها شحذٌ للهمم، وحثٌّ على الجهاد، إذ يطلب من المجاهدين النهوض لملاقاة العدو، والنصر عليه هو الرجاء والمقصد، ولذلك المطلب تُقدَّمُ الأرواح رخيصة، وهذا فيه دلالة على طلب الشهادة في قول القائد خالد بن الوليد – رضي الله عنه–.

وللقائد خالد بن الوليد أبيات شعرٍ تمثلت في هذا المضمون، حيث قال في إحدى المعارك التي دارت حول دمشق:

اليَـــــوْمُ يَوْمٌ فَازَ فِيْهِ مَنْ صَدَقْ لا أَرْهـبُ المَوتَ إِذَا المَوتُ طَرَقْ

عَسَـــى أَرَى غَدَاً مَقَامَ مَنْ صَـــدَقْ في جَنَّـــةِ الخُلْدِ وأَلْقَى مَنْ سَبَقْ[7]

فالأبيات تشير إلى أسلوب الترغيب عند القائد خالد بن الوليد، إذ يبث الحماسة في قلوب المسلمين المجاهدين، ويُعلمهم بأن هذا اليوم سيخلد فيه من صدق وعده مع الله، جاعلاً من نفسه أنموذجاً لهم في استعداده لملاقاة الموت إن حان وقته، مذكراً إياهم بوعد الله الحق، حيث عُدَّت الجنَّةُ مقاماً كريماً للذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه.

وهذا جندب بن عامر بن الطفيل[1] أحد شعراء عصره في الجاهلية، إذ أدرك الإسلام فأسلم، وفي انخراطه في مجتمع الإسلام الجديد تتغير مضامين شعره، فهو في الأبيات التالية يتمثل تعاليم الإسلام، ويبذل أغلى ما يملك طلباً لمرضات الله وعفوه، مشيراً إلى طلب الشهادة سبيلاً للخلد في جنات النعيم، إذ قال:

سَأَبْـذِلُ مُهْجَتِـي أَبَداً لأَنِّـــي أُرِيْدُ العَفْـــوَ مِنْ رَبّ كَرِيْـــمِ

وأَضْـــرِبُ في العِدَا جَهْدِي بِسَيْفِي وأَقْتُلُ كُـــلَّ جَبَّـــارٍ لَئِيْـــمِ

فَإِنَّ الخُلْـــــدَ في الجَنَّاتِ حَقٌّ تُبَاحُ لِكُـــلّ مِقْـــدَامٍ سَلِيْـــمِ[8]

وكان المقاتل المسلم في الفتوحات الإسلامية يؤمن إيماناً مطلقاً لا ريب فيه بوقوف الله ﷻ لصفّه مع بقية إخوته من المجاهدين، وهذا الصدق في الإيمان قد أعطى دافعاً كبيراً للمسلمين في إقبالهم على المعركة، والاستبسال لإعلاء كلمة الله تعالى، فالشاعر قيس بن هبيرة المكشوح يُرجع الفضل لله تعالى في نصرهم، حتى استطاعوا أن يفلوا هامات الأعداء بالسيوف المهندة، وجعلوها متناثرة متطايرة، إذ قال:

وقَـــــدْ أَبْلَـى الإِلَهُ هُنَاكَ خَيْرَاً وفِعْلُ الخَيْـــرِ عِنْدَ اللهِ نَامِـــي

نُفَلّـــقُ هَامَهُـــمْ بِمُهَنَّـــداتٍ كَأَنَّ فَرَاشَهَـــا قَيْـــضُ النَّعَامِ[9]

وفي موقعة "مرج دابق" يقف ضرار بن الأزور موقف المحارب المسلم، ويثير في نفوس المجاهدين الحميَّة والبسالة، داعياً إياهم التوجه نحو الأعداء لترتوي أسيافهم من دماء تلك الجيوش، وفي هذا صورة أراد بها الشاعر الترغيب والحث على الجهاد، فالواجب يحتّم عليهم في هذا المقام أن يردوا عن دين الله كل كافر، وذلك فيه – بلا شك – مرضاة الله، إذ يعتق الله تعالى في يوم الجزاء كل مجاهد قاتل بحمية وصدق وبسالة، إذ قال:

أَلا فَاحْمِلُوا نَحْـــــوَ اللِّئَامِ الكَوَاذِبِ لِتَرووا سُيُوفاً مِـــــنْ دِمَاءِ الكَتَائِـــبِ

ورُدُّوا عَنِ الـدِّيْنِ المُعَظَّمِ في الوَرَى وأَرضُوا إِلهَ العَـــــــرْشِ رَبَّ المَوَاهِبِ

(1) هو: جندب بن عامر بن الطفيل الكلابي العامري الهوازني، كان أبوه شاعراً جاهلياً وفارساً فتاكاً وسيداً من سادات بني جعفر بن كلاب من بني عامر بن صعصعة من قبيلة هوازن.

فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَبْتَغِـــــــــي عِتْقَ رَبّهِ مِنَ النَّارِ فـــــي يَـــوْمِ الجَزَا والمَآرِبِ
فَيَحْمِلُ هَذَا اليَـــــــــوْمَ حَمْلةَ ضَيْغَمٍ ويُرْضِي رَسوُلاً في الوَرَى غَيْرَ كَاذِبِ[10]

وبقيت الهمم العالية لأولئك الأبطال المسلمين كشعاع من نور، حيث أذكت في نفوسهم الحث على الجهاد وطلب الشهادة في سبيل الله تعالى، فاستمدوا لذلك المطلب الشجاعة والقوة في هممهم الباسلة، فالشاعر عيَّاض بن غُنَم[2] قد عبَّر عن هذا المضمون في "يوم الجزيرة"، إذ قال:

سَنَحْمِلُ فـــي جَمْعِ اللِّئَامِ الكَـــواذِبِ ونَفْـــــــــرِي رُؤُوسَاً مِنْهُمُ بِالقَواضِبِ
وَنَهْزِمُ جَيْـــــــــشَ الكُفْرِ مِنَّا بِهِمَّـةٍ تَطُولُ على أَعْلَى الجِبَـالِ الرَّواسِـــبِ
ونَنْصُرُ دِيْنَ اللهِ فـــــــــي كُلّ مَشْهَدٍ بِفِتَيانِ صِـــــــــدْقٍ مِنْ كِرَامِ الأَعارِبِ
فَيَا مَعْشَـــرَ الأَصْـــحَابِ جِدُّوا وجَنْدِلُوا وكِرُّوا على خَيْلٍ كِـــــــــرَام المَنَاصِبِ
فَدُونَكُمْ قَصْدُ الصَّلِيْـــــــــبِ وبَادِرُوا لِنُرْضِـــي إِلهَ الخَلْقِ مُعْطِي المَوَاهِبِ[11]

وفي هذه الأبيات إشارة إلى عامل التحفيز عند الشعراء المجاهدين، فالحث على الجهاد يتضمن دعوة من الشاعر للمقاتلين مفادها نصـرة الله ﷻ والثبات لإعلاء راية الاسـلام، مصـوراً همم الأبطال العالية كهمم الجبال، لا بل تطولها، فبها ستقطع رؤوس أولئك اللئام الكفرة، وسينتصر دين الله بفتيان صدقوا الله في وعدهم، فهم من كرام القوم والعرب.

وعليه، فقد كانت الأشـعار عند المجاهدين المسـلمين تحمل في غالبها دعوة للجهاد والحث عليه، وتشـتمل أيضـاً رسائل ترغيب للشهادة وطلبها في سبيل الله تعالى، وما كان لمثل هذه المطالب والمضـامين أن تتحقق لولا صـدق الوازع الديني المتغلغل في نفوس أولئك المجاهدين، فكان إيمانهم بالله إيمان حق، وأنظارهم ترنو إمَّا لنصـــر يُمنّي النفس، وإمَّا لشهادة ينالون بها رضـا الله تعالى، ورسوله الكريم ﷺ، واللافت هنا أن الشعراء الذين وردت لهم نماذج شعرية تحت هذه الجزئية قد تمكنوا من رصد تلك المشاعر الجياشة عند المجاهدين الذين شاركوا في الفتوحات الإسلامية.

2- وصف أسلحة المعركة.

أرض المعركة هي ساحة القتال، وهذه الساحة تشتمل على عناصر من مقاتل وسلاح وخيل يكرُّ عليها الفارس ويفرّ إن لزم الأمر، ومنذ أن ظهر الشعر في بداياته الأولى كان الشاعر العربي يتغنى بسيفه ورمحه وترسه، فهذه العناصر هي المعين لتحقيق المراد، إمَّا في الغزو وإمَّا للدفاع عن النفس.

"ومن الأمور التي نراها عند الشعراء المحاربين حرصهم على وصف أسلحتهم، والتغني بما لها من صفات، والحديث

(2) هو: عياض بن غنم الفهري القرشي، صحابي أسلم قبل صلح الحديبية وكان قد شهدها أرسله الخليفة أبو بكر الصديق لغزو العراق وعمل تحت قيادة خالد في العراق وبعدها في الشام ضد الروم، وكان مع أبي عبيدة بن الجراح في فتح شمال سوريا وينسب إليه فتح حلب وإعزاز، وشهد اليرموك وكان من أمراء الكراديس فيها.

عن قوتها وصرامتها، فيصفون السيف، والرمح، والدرع، وغيرها من أسلحة الحرب"[12].

1.2 وصف السيف: لم تختلف الصورة التي جاءت لوصف هذه الأدوات عند شعراء الفتوحات الإسلامية، فنكاد نجد الفارس فرحاً منتشياً لامتلاكه أجود تلك الأدوات، فيعلي من شأنها في شعره، ويقدر منزلتها حق تقدير، ومن هؤلاء الشعراء الذين تناولوا أدوات القتال بالوصف في الفتوحات الإسلامية الشاعر عمرو بن معد يكرب الزبيدي، فأنظاره لا تقع إلَّا على سيف يقطع الأبدان إلى أشلاء في ساحة القتال، ويفلّ هامات رؤوس الأعداء عند ضربها، حيث قال:

نَهْـــداً، وذَا شُطَـــبٍ يَقِـــــدُ البِيْـــــــــضَ والأَبْدَانَ قَدَّا[13]

ويصور عمرو أيضاً سيفه في موطن آخر وكأنه غديرٌ تسيل الدماء من جنباته، فتترك أثراً على ذلك السيف لتبدو كالنقش أو الكتابة، وفي هذه الصورة دلالة على كثرة إراقته لدماء الأعداء في ساحة القتال، إذ قال:

حُسَاماً تَرَاهُ كَمِثْلِ الغَدِيْـــــــــرِ عَلَيْـــهِ كَنَمْنَمَـــــةِ النَّاقِـشِ[14]

والقعقاع بن عمرو التميمي من الشعراء الذين برعوا في هذا الجانب، حيث صور شدة المعركة وضراوة القتال مع الأعداء، ففي يوم دمشق كان القعقاع ومن معه من المسلمين يحاصرون الروم ويقاتلونهم بسيوفهم القوية الصارمة ما يزيد على شهر، حيث قال:

أَقَمْنَا عَلى دَارَيِ سُـــلَيْمَانَ شَـــهْرَاً نُجَالِدُ رُومَاً قَدْ حَمُوا بِالصَّـوارِمِ[15]

وكان بعض الشعراء يشير إلى بلد صنع السيوف، وينسبونها إلى صانعيها، فالشاعر قيس بن هبيرة يذكر بلاد نجد التي صنعت فيها سيوفهم، وكان هذا الشأن يبعث على الفخر والإباء في نفوس المجاهدين والشعراء، حيث قال:

تَقَدَّمْنَا أَمَامَـــــكَ كَـــــــيْ تَرَانَا نَبِيْـــدُ القَومَ بِالسَّيْفِ النَّجَادِي[16]

ونرى القائد المسلم خالد بن الوليد ﷺ في "يوم فحل" يصف سيفه بالقوة والصلابة عند الضرب، حيث قال:

أَضْرِبُهُـــمْ بِصَـــارِمٍ مُهَنَّـــــــدٍ ضَـرْبَ صَـلِيْبِ الدّيْنِ هَادٍ مُهْتَدِ[17]

ولعل توظيف الشعراء للصورة الفنية في وصف السيف قد أضفى واقعية وجمالاً على أبياتهم الشعرية، بالإضافة لبعثها الحماسة في نفوس المجاهدين.

2.2 وصف الرمح: ومن الأسلحة المستخدمة في المعارك الرمح، وقد ذكره كثيرٌ من الشعراء بالوصف الدقيق أثناء تصويرهم لحظات القتال، فالقعقاع بن عمرو التميمي يصف في البيت التالي وقع الرماح على الأعداء كالمطر المدرار، إذ قال:

يَـــــومُ الرّدَاعِ فَعِنْدَ فَحْلٍ سَاعَةٌ وخَزُّ الرّمَاحِ عَلَيْهِـــــمْ مِدْرَارُ[18]

ويشبه في البيت التالي القعقاع سرعة الرماح في انطلاقها تجاه الأعداء، فهي سريعة كسرعة الطيور في الهواء عندما تنقضّ على فرائسها، حيث قال:

عَشِيَّـــــــــــةَ رُحْنَا بِالرّمَاحِ كَأَنَّهَا عَلى القَوْمِ أَلوانَ الطُّيورِ الرَّسَـارِسِ[19]

والرماح قاسية كنوى القسب لا تتكسر عند عمرو بن معد يكرب في إحدى قصائده، وهي بذلك تكتسب قوتها من الفارس عمرو وقومه، لتدل هذه الصورة على أثر التحام جيش المسلمين بجيش الأعداء، وحرصهم على نيل الشهادة في سبيل الله تعالى أو النصر، حيث قال:

أَتَتْكَ زُبَيْـــــــــــدٌ بِالرّمَـــــاحِ كَأَنَّهَا نَوى القَسَــبِ، عَمْرُو لِلّقَاءِ يَقُودُهَا[20]

أما الشاعر علقمة بن الأرث العبسي، فقد جعل الرماح التي تتهاوى على الأعداء في ساحة الوغى سبباً في انفصالهم عن زوجاتهم، إذ أفقدتهم تلك الرماح حياتهم، حيث قال:

نَحْـــــــــــنُ قَفَلْنَا كُلَّ وافٍ بِآلِهِ مِنَ الرُّومِ مَعْرُوفَ النّجَـادِ مَنْطِقِ

ونَحْنُ طَلَقْنَـا بِالرّمَـاحِ نِسَـــاءَ هُمْ وأُبْنَـا إلى أَزْواجِنَـا لَمْ تُطْلَقِ[21]

ومن الفرسان الذين لم يسبق لهم قول الشعر قبل الفتوحات الإسلامية خالد بن سعيد بن العاص، حيث أنطقته وقعة "مرج الصفر"، وقال ليصف ضراوة القتال في أرض المعركة، ويطلب رمحاً من أحد المجاهدين لنفاد رماحه في المعركة:

مَنْ فَـارِسٌ كَرِهَ الطّعَـانَ يُعِيْرُنِي رُمْحَاً إذَا نَزَلُـــوا بِمَرْجِ الصّفْرِ[22]

وكان بعض الشعراء في ذلك العهد يشيرون إلى ذكر أسماء للرماح المستخدمة، وبعضاً من صفاتها وأسماء صانعيها، وفي هذا الوصف إعجابٌ بتلك الرماح وما شابهها من المعدات المستخدمة في القتال، فزياد بن حنظلة قد أشار في إحدى أبياته إلى الرماح الصلبة والقويمة التي يستخدمها، وهي تنسب إلى صانعها "سمهر"، حيث قال:

وقَدْ هَوَتْ مِنَّا تَنُـــــوُحٌ وخَاطَرَتْ بِحَاضِرِهَا والسَّمْهَـــــرِيَّةُ تَضْرِبُ[23]

3.2 وصـــف الدّرع: أَما الدروع التي كانت أداة وقاية للمحارب والمقاتل في ســـاحة المعركة، فقد كان لها جانبٌ من الوصف عند الشعراء والفرسان، فالشاعر عمرو بن معد يكرب يختار درعاً فضفاضة دلاصاً؛ لتحمي جسده من طعن الرماح ووقع السهام، حيث قال:

أَعْدَدْتُ لِلْحَـــــــــــرْبِ فَضْفَاضَةً دِلاصَاً تَثَنَّـــــى على الرَّاهِـشِ[24]

ويشير عمرو في البيت التالي إلى صانع درعه "داوود"، والإشارة هنا؛ للدلالة على نفاسة هذا الدرع وقيمته، حيث قال:

ومَفَاضَـــــــــــةٍ كالنَّهْيِ مُحْكَمَةٍ مِنْ صُنْـــــــــعِ دَاودَ أَبِي سَلَمِ[25]

وعليه، فقد اتضح للباحثة مدى اهتمّام الشعراء وفرسان الفتوحات الإسلامية بقضية وصف أسلحة المعركة، كالسيوف، والرماح، والدروع، وهي تعد من موضوعات ذلك الوصف عند أولئك الشعراء، وذلك لما لها من شأن كبير في تحقيق الانتصارات، لذا كان الفرسان في تلك المعارك يتروون في اختيار أجود هذه الاسلحة، فهي العامل المساند للمجاهد في أرض المعركة، وقد وظف الشعراء الصور والتشبيهات الفنية المختلفة لبيان أثر استخدام المجاهدين لأسلحتهم في المعركة.

3- وصف الخيل.

لعل في الحديث عن الخيل المشاركة في معارك الفتوحات الإسلامية أن نرى الشعراء والفرسان مهتمين في هذا الجانب، فوصف الخيل والإعلاء من شأنها وبيان صفاتها كان من مضامين وموضوعات وصف المعركة عند شعراء الفتوحات الإسلامية، إذ يجب أن تتصف هذه الخيل بصفات جيدة وفريدة؛ لتلبي مرام الفارس الذي يمتطي صهوتها.

والشاعر عمرو بن معد يكرب من الفرسان الذين كان لهم اهتمّام بهذا الجانب، إذ لا يخرج لأرض المعركة إلا وهو معدٌّ لفرسه، فيختار منها الضامر، فتبدو كأنها رشاء بئر، قصيرة الشعر –جرداء–، إذ قال في وصفها:

وأَجْـــــرَدَ مُطَّـــــرِداً كَالرِّشَاءِ وسَيْـــــفِ سَلامَـــةٍ ذِي فَائِشِ[26]

وفي موطن آخر يصف عمرو حصانه بأنه يخلو من العيوب، ولديه القدرة على اللحاق بالأعداء وإدراكهم، حيث قال:

أَعْـــــدَدْتُ بِالحَـدَّانِ مُطّـــــرِداً لَدُنِ المَهَـــزَّةِ غَيْـــــرُ ذِي وصَـمِ[27]

ويستمد عمرو من الخيل التي يركبها القوة والعزم، وهو بتلك القوة يبث الرعب والذعر في صفوف الأعداء، إذ قال:

لَقَدْ عَلِمَتْ خَيْلُ الأعَاجِمِ إِنَّنِـــــــي أَنَا الفَارِسُ الحَامِي إِذَا النَّاسُ أَحْجَمُوا[28]

وكانت الخيل أيضاً، من موضوعات صورة المعركة عند الشاعر والفارس القعقاع التميمي، فهو لا يقع اختياره إلَّا على الخيل التي تحتمل العناء في أرض المعركة، حتى وإن تعرضت للطعن من الأعداء؛ ليبقى الفارس على صهوتها صامداً حتى وإن بقي وحيداً يجابه الأعداء بنفسه، إذ قال في ذلك:

أُجَالِدَهُمْ والخَيْلُ تَنْحَـــــــطُ فِي القَنَا وأَنْتَ وحِيْـــــدٌ قَدْ حَوتْكَ الكَتَائِبُ[29]

وكان بعض الشعراء يجمع لعزمه وقوته صلابة تلك الخيل، فهي بأسٌ يضاف إلى بأسهم؛ لذلك مجدوا صفات هذه الخيل، فكانت العرب قديماً تعتز بخيلها وتفخر بها، فالقعقاع يصف جبهت حصانه واكتمال نمو أسنانه إشارة إلى قوته وصلابته، حيث قال:

مَا زِلْـــــــــتُ أَزْمِيْهِمْ بِقَرْحَةِ كَامِلٍ كَرَّ المُبِيْـــــــحِ رَيَاثَـــةَ الإِبْسَـــارِ[30]

ومن الفرسان الذين أنطقتهم الفتوحات الإسلامية قول الشعر الصحابي الجليل عمار بن ياسر ﷺ، حيث شهد غزوات المسلمين كلها مع النبي ﷺ، وشارك بعد وفاة رسول الله في فتوحات المسلمين، فهو في البيتين التاليين يصور الحرب وكأنها تجارة يخوض في سومها بخيل لا تنكسر أَو تتراجع أَبدا، والغاية في ذلك حماية دين رسولنا الكريم محمد ﷺ، إذ قال:

إِنْ جَالَتِ الخَيْـــــــــلُ بِلا انْكِسَارِ وقَـامَ سُـــوقُ الحَرْبِ مِنْ عَمَـارِ

حِمَى لِـدِيْنِ المُصْـــطَفَى المُخْتَـارِ صَلَّـــــــى عَلَيْهِ الواحِـدُ القَهَّارِ[31]

وكان للخيل العربية الأصيلة ذكر في أشعار الفتوحات الإسلامية، حيث كان أصحاب تلك الخيول من الفرسان دائمي التغني والتمجيد بهذا الصنف من الخيول، وكان لها مسميات أشهرها (الخيل العراب)، فالشاعر أُسيد بن المتشمس يصف حالة الذعر التي أصابت الأعداء حينا غزتهم الخيل الأصيلة ومن فوقها فرسان المسلمين، فأدبروا والموت يتناهشهم

من كل حدب وصوب، حيث قال:

رَمَيْنَـاهُمْ بِـالخَيْـلِ مِنْ كُـلّ جَـانِـبٍ فَوَلُّوا صِـــرَاعَاً واسْـــتَعَادُوا النّوابِحَا

غَدَاةَ رَأُوا خَيْلَ العِـــــــــرَابِ مُغِيْرَةً تُقَـرّبُ مِنْهُمْ أُسْدُهُنَّ الكَـــــوالِحَا(32)

ويصور الشاعر ابن محجن الثَّقفي ظهور الخيل وكأنها مأوى ومسكن للفرسان كريمي النسب، وهذا فيه دلالة على مكانة الخيل في نفس الفارس العربي، حيث قال:

إنَّ الـكِـرَامَ عَـلَـى الـجِـيَـادِ مَـبِـيْـتُـهُـمْ فَدَعِي الرّمَاحَ لأَهْلِهَا وتَعَطَّـــــرِي(33)

وأشار الشاعر سهيل بن عدي إلى قوة الخيل الجرداء في القتال، إذ كان لها دورٌ كبير في ارتواء الرماح العطشى من دماء الخصوم، حيث قال:

ولَمْ نَثْنِ الأَعِنَّـــــــــــةَ حِيْنَ سِرْنَا بِجُـــــــــرْدِ الخَيْلِ والأَسَلِ النّهَالِ(34)

وقد ذكر الشاعر قيس بن هبيرة المكشوح قدرة التحمل عند الخيل المشاركة في الفتوحات الإسلامية، إذ جاءت هذه الخيل من صنعاء اليمن وصولاً لبلاد الشام، حيث قال:

جَلَبْـتُ الخَيْـلَ مِنْ صَـــنْعَـاءَ تُرْدِي بِكُلّ مُدَجَّـــــــــــــجٍ كَاللَّيْثِ حَامِي(35)

وعلى ما تقدم، فقد تبين للباحثة اهتمّام الشعراء والفرسان في الفتوحات الإسلامية بموضوع وصف الخيل المشاركة في تلك الوقائع، إذ كان لها شـــأن كبير ودورٌ فاعل في صـــولات المســـلمين الفاتحين آنذاك، لذلك كانوا يتخيرون أجود الخيول وأفضلها، ويحرصون على اقتناء الأصيل من خيل العرب، وقد ظهرت مثل هذه الصفات الجيدة في أشعارهم التي مجدوا من خلالها خيلهم المشاركة في معاركهم ونزالاتهم.

4- <u>وصف القادة والمجاهدين ومجريات المعركة.</u>

يعد وصف صنيع الأبطال والفرسان المسلمين في الفتوحات الإسلامية من باب الفخر والتمجيد، ولكن هذا المضمون قد صدر بصورة جمعية في غالبه، لذلك اختلفت صورة الفخر هنا عن ذلك المضمون الفردي في الشعر العربي، حيث كان الشاعر قديما يفخر بنفسه وبقبيلته فقط؛ وذلك إظهاراً للمكانة التي يحظون بها، ولكن في شعر الفتوحات الإسلامية أصبح الهمُّ والوازع جمعياً، وقد كان للإسلام أثر في ذلك، حيث دعا ديننا الحنيف إلى التكاتف والتآلف، حتى أصبح الجميع كالجسد الواحد تحت راية الإسلام.

وقد عُني الشعراء في الفتوحات الإسلامية بموضوع وصف المجاهدين المسلمين وذكر مآثرهم في المعارك التي خاضوها، وأشار الشعراء أيضاً في حديثهم عن هذا المضمون إلى وصف مجريات القتال وما دار من أحداث في تلك الفتوحات، ومن هؤلاء الشعراء القعقاع بن عمرو التميمي، إذ يشير في الأبيات التالية لانتصار المسلمين على أعدائهم من الفرس والروم، حيث اجتمعا لقتال المسلمين في "يوم الفراض"، ولكن بفضل من المولى ﷻ تحقق النصر للمسلمين، فأنشد القعقاع يصف

مآثر الفرسان المسلمين وما أبلوه في ساحة القتال، حيث كان الفخر والتمجيد بالجمع لا بالفرد، حيث قال:

لَـقِـيْـنَـا بِـالـفِـرَاضِ جُـمُـوعَ رُومٍ وفُرْسٍ عَمَّهَا طُـــــــــولُ السَّلامِ
أَبَدْنَا جَمْعَهُـــــــــــمْ لمَّا التَقَيْنَا وبَيَّتْنَا بِجَمْـــــــــــــعِ بَنِي رِزَامِ
فَمَـا فَتِئَـتْ جُنُودُ السّـــلْمِ حَتَّى رَأَيْنَـا القَومَ كَـالغَنَمِ السَّـــوامِ[36]

وفي مشـــهد حربي آخر، يصـــور القعقاع ســـجالاً دار بين المســـلمين والروم في معركة اليرموك، فكانت الغلبة للمسلمين، حيث كانت السيوف في أيديهم رقيقة حادة تجز رؤوس جنود الروم، وفي هذا وصف لفعال القادة ومن معهم من المجاهدين، حيث قال:

قَتَلْنَا مَـــــنْ أَقَـــــــامَ لنَا وفِيْنَا نَهَابُهُ.مُ بِأَسْيَـــــــــــــــــافٍ رِقَاقِ
قَتَلْنَـا الرُّومَ حَتَّى مَـا تُسَـــاوِي علـى اليَـرْمُـوكِ تَـفْـروقُ الـوِرَاقِ[37]

والقعقاع من الشـعراء الذين وصـفوا صـورة الحرب داخل المعركة، " فالشـاعر المحارب من يسـتطيع فقط أن ينقل صورة الحرب من داخل المعركة، وخاصة عندما تشتد الخطوب، ويعلو غبار المعركة وتتنادى الخيل وتندفع للقتال"[38]، فهو في البيتين التاليين يشير إلى طلب الفرسان المسلمين لقاء هرمز قائد الفرس، حيث جالت الخيل في أَرض الكواظم في العراق، وأحاط المسلمون بالقصور في مدينة الحيرة، حيث قال:

فَنَحْـــــــنُ وطِئْنَا بِالكَواظِـــمِ هُرْمُزَاً وبِالثَّنْي قَرْنَـــي قَارِنٍ بِالجَـــــوارِفِ
ويَومَ أَحَطْنَا بِالقُصُـــــــــورِ تَتَابَعَتْ على الحِيْرَةِ الرَّوحَاءِ إِحْدَى المَصَارِفِ[39]

وفي موطن آخر يشير القعقاع إلى حالة الذعر والهلع التي أصابت الأعداء عند لقاء جيش المسلمين، حيث أشار أيضـاً إلى صـنيع الفرسـان المسـلمين وبلائهم في أرض المعركة، إذ صـورهم يُرسـلون الموت للأعداء بصـورة سـريعة، وتمكنوا من اجتياز نهر "شـير"[40] متسـلحين لذلك بإيمانهم وصـدق عقيدتهم، فتطايرت جرّاء ذلك قلوب الأعداء عندما رأووا السيوف في أيدي المجاهدين، حيث قال:

ومَا إِنْ طَبَّـــهُـــــــــمْ جُبْنٌ ولَكِنْ رَمَيْنَاهُـــــــمْ بِرَامِيَـــــــــــةٍ ذُعَافِ[41]
فَتَحْنَا نَهْرَ شِيْـــــــــــــرَ بِقَولِ حَقٍّ أَتَانَا لَيْسَ مِنْ سَجْـــــــعِ العَوافِ[42]
وقَدْ طَارَتْ قُلُـــــــــــوبُ القَومِ مِنَّا وهَدُّوا الضَّـــرْبَ بِالبِيْضِ الخِفَافِ[43]

والتخطيط الناجح في المعركة من أهم أسـباب الظفر على العدو، خاصـة إذا كان التخطيط للتفلّت من قبضـة العدو وحيله، فالقعقاع يشـير إلى قدرته –ومن معه من المسـلمين– بالتخلص من حصـار العدو لهم، حيث اسـتطاعوا أن يقلبوا الأمور على الأعداء، فشتتوا شملهم، وبعثوا عليهم الرماح والسهام كالموت لتنال منهم، حيث قال في ذلك:

فَنَحْـــــــــنُ حُبِسْنَا بِالزِّمَامِ بَعْدَمَا أَقَـامُوا لنَـا فِي عَرْصَـــةِ الـدَّارِ تَرْتُبَـا
قَتَلْنَاهُـــــــــمْ مَا بَيْنَ قَلْعٍ ومُطْلَقٍ إلى القِيْعَـــــةِ الغَبْرَاءِ يَومَاً مُطْنِبَا[44]

وورد في خزانة الأدب للبغدادي أبيات شعر نسبت للشاعر أَبي محجن الثَّقفي، حيث يشير من خلالها إلى عظيم بلائه في القتال، وهو يتحدث أيضاً عن صنيع بقية الجند من المسلمين بصيغة الجماعة، وهذا ما أُثر عن شعراء الفتوحات الإسلامية، حيث كان التمجيد للفعال بشكل جمعي؛ كي تبقى روح الجماعة متماسكة وصامدة أمام الأعداء، وفي ذلك يقول الثقفي:

لمَّا رأَيْنَا خَيْلاً مُحَجَّلَةً ... وقَوماً بَغْيِ فِي جَحْفَلٍ لَجِبِ
طِرْنَا إِليهِمْ بِكُلّ سَلْهَبَةٍ ... وكُلّ صَافِي الأَدِيْمِ كَالذَّهَبِ
وكُلّ عَرَّاصَةٍ مُثَقَّفَةٍ ... فِيْهَا سِنَانٌ كَشُعْلَةِ اللَّهَبِ
وكُلّ عَضْبٍ فِي مَتْنِهِ أَثَرٌ ... ومَشْرِفَي كَالمِلْحِ ذِي شُطَبِ
لمَّا التَقَيْنَا مَاتَ الظَّلامُ ودَارَ ... المَوتُ دَورَ الرَّحَى عَلى القُطُبِ
فَكُلُّنَا يَسْتَكِيْضُ صَاحِبُهُ ... عَنْ نَفْسِهِ، والنُّفُوسُ فِي كُرَبِ
إِنْ حَمَلُوا لَمْ نَرِمْ مَواضِعَنَا ... وإِنْ حَمَلْنَا جَثُوا عَلى الرُّكَبِ[45]

فالأبيات يشير من خلالها الشاعر إلى تمجيد فعال الفرسان في أرض المعركة، ويصف من خلالها مجريات تلك الوقعة، وكيف كانت حال المسلمين وحال الأعداء، إذ أشار في البيت الأخير إلى صلابة المسلمين وبقائهم دون تراجع عندما كان العدو يحمل عليهم، وعندما تأتي فرصة للمسلمين ويحملون على الأعداء، تراهم –أي الأعداء– يركعون على ركبهم خوفاً، وفي هذا تصوير أيضاً لنهاية تلك المعركة، فلا يجثو على ركبتيه إلَّا الخاسر، وأيضاً وصف لبلاء قادة وأبطال الجيش المسلم، لدلالة على النصر والظفر.

ويروي لنا صاحب الأغاني أبيات شعر رائعة وفريدة، إذ يفخر صاحبها بفعاله يوم القادسية، وتشير بعض الروايات إلى أَنَّ صاحب هذه الأبيات هو الشاعر بشر بن ربيعة، حيث قال فيها:

أَنَخْتُ بِبَابِ القَادِسِيَّةِ نَاقَتِي ... وسَعْدُ بِنْ وقَاص عَلَيَّ أَمِيْرُ
تَذَكَّرْ هَدَاكَ اللهُ وقْعَ سُيُوفِنَا ... بِبَابِ قَدِيْسٍ والقُلُوبُ تَطِيْرُ
عَشِيَّةَ ودَّ القَومُ لَوْ أَنَّ بَعْضَهُمْ ... يُعَارُ جَنَاحَيَّ طَائِرٍ فَيَطِيْرُ
إِذَا مَا فَرِغْنَا مِنْ قِرَاعِ كَتِيْبَةٍ ... دَلَفْنَا لأُخْرَى كَالجِبَالِ تَسِيْرُ
تَرَى القَومَ فِيْهَا أَجْمَعِيْنَ كَأَنَّهُمْ ... جِمَالٌ بِأَحْمَالٍ لَهُنَّ زَفِيْرُ[46]

فالشاعر في الأبيات السابقة يمجد ويعلي من شأنه وشأن من معه في وقعة القادسية، إذ عملت سيوفهم عملها في رقاب الأعداء، وأصبح الفرد منهم هلعاً متطاير القلب، حيث تمنى العدو لو أنه يستعير جناحي طائر ليطير ويبتعد عن الموت الذي سيلاقيه، فكان لهم المسلمون بالمرصاد آنذاك، فإن تفرغوا من قتال كتيبة، ساروا لما بعدها من الكتائب بعزم وإصرار.

وبمثل هذه الصـور، كان الشـعراء في الفتوحات الإسـلامية يمجدون أفعال القادة والمحاربين المسـلمين، وكان لديهم الاهتمّام البالغ لوصف مجريات القتال في أرض المعركة، إذ كان لوصف هذا المضمون دور واضح في بث روح الحماسة في نفوس المسلمين، وإعطائهم دافعاً معنوياً للصمود في وجه الأعداء ومجابهتهم، خاصة تلك الأبيات التي تصور مقتل قادتهم.

الخاتمة.

وبعد دراسة الجزئيات السابقة، فقد خلصت الباحثة لعدة نتائج، أبرزها:

- إن الأشعار التي قيلت في فترة الفتوحات الإسلامية جاءت متضمنة لتعاليم الاسلام، وقد بث فيها قائلوها مضامين إسلامية دينية بحتة، كالحث على الجهاد، وطلب الاستشهاد في سبيل الله تعالى.
- خلت قصـائد الشـعراء إلى حدّ كبير في الفتوحات الإسـلامية من مظاهر الصَّـنعة والزخرفة الفنية شـكلاً، وذلك لانشغالهم بالفتوحات الإسلامية، حيث كان التركيز منصباً لديهم على جانب المضمون.
- كانت تلك الأشعار نابعة من عاطفةٍ صادقةٍ، إذ جاءت عفو الخاطر دون تكلّف تظهر من خلالها الرُّوح الجهادية، وصدرت لتعبر عن روح الجماعة التي استطاعت أن تطمس معالم العصبيَّات القبليَّة.
- برع الشعراء الفرسان في جانب وصف صورة المعركة، وما تشتمل عليه من الأدوات، فكان الفارس المجاهد متأنياً في اختيار سيفه ورمحه وترسه؛ ليتسنى له تقديم الأفضل في ساحات القتال، لذلك ركزوا على وصف هذه الأسلحة في أشعارهم، وهي بالطبع كانت الحافز لهم في مواجهة الأعداء.
- استطاع الشعراء أن يصفوا الخيل المشاركة في الفتوحات الإسلامية وصفاً دقيقاً، حيث تبين أن المجاهدين كانوا يتخيرون من الخيل أجودها وأفضلها أصلاً، فافتتنوا بوصف سماتها ومواصفاتها التي تجعل منها جديرة بالاختيار.
- كان لتصوير ما يقدمه القادة والمجاهدون في الأشعار يعطي حافزاً كبيراً في نفوس البقية من المجاهدين، فتصوير بلائهم ومجريات نزالهم يعد من الأمور التي تبعث الحماسة والطمأنينة في القلوب.
- شعر الفتوحات الإسلامية لم يقتصر على من كان شاعراً في سابق عهده، لذلك وجدنا عدداً من الشعراء قد أنطقتهم تلك المعارك والفتوحات، وأخذوا ينخرطوا بدائرة الشعراء المتمرسين في هذا الباب، فأجادوا الوصف، والتصوير في موضوعات الحث على الجهاد، ووصف الأسلحة، والخيل، والقادة، والأبطال، ومجريات المعركة، واستطاعوا أن يتمثلوا مضامين الشعر في قصائدهم.

الهوامش:

(1) النعمان عبدالمتعال القاضي، **شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام**، مكتبة الثقافة الأدبية، 2005، (ط1)، ص31.
(2) **شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام**، ص32.

(3) حنّا الفاخوري، **الجامع في تاريخ الأدب العربي – الأدب القديم –**، بيروت، دار الجيل، 1951، (ط1)، ص385.

(4) شكري فيصل، **المجتمعات الإسلامية في القرن الأول هجري**، بيروت، دار العلم للميلاين، 1973، ص347.

(5) محمد بن عمر الواقدي (ت130هـ/747م)، **فتوح الشام**، تحقيق: عبداللطيف عبدالرحمن، بيروت، دار الكتب العلمية،1997، (ط1)، ج1، ص44.

(6) **فتوح الشام**، ج1، ص173.

(7) **فتوح الشام**، ج1، ص45.

(8) **فتوح الشام**، ج1، ص210.

(9) أحمد بن داوود الدينوري (282هـ/895م)، **الأخبار الطوال**، تحقيق: حسن الزين، بيروت، دار الفكر الحديث للطباعة والنشر، 1988، ص97.

(10) **فتوح الشام**، ج1، ص284.

(11) **فتوح الشام**، ج2، ص120.

(12) شوقي ضيف، **تاريخ الأدب العربي في العصر الجاهلي**، القاهرة–مصر، دار المعارف، 1960، (11)، ص205.

(13) عمرو بن معدي كرب الزبيدي (21هـ/642م)، **حياته وشعره**، جمع وتحقيق مطاع الطرابيشي، دمشق–سوريا، منشورات مجمع اللغة العربية، 1985، (ط2)، ص80.

(14) **عمرو بن معدي كرب الزبيدي حياته وشعره**، ص 133.

(15) جمال الدين ابن منظور (711هـ/1311م)، **مختصر تاريخ دمشق**، تحقيق: روحية النَّحّاس ومحمد الحافظ، دمشق، دار الفكر، 1990، ج21، ص89.

(16) **فتوح الشام**، ج1، ص7.

(17) صلاح الدين الصفدي (764هـ/1362م)، **الوافي بالوفيات**، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 2000م، (ط1)، ج8، ص122.

(18) علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي (571هـ/1175م)، **تاريخ مدينة دمشق**، تحقيق: عمر العمروي، بيروت، دار الفكر، 1995م، ج2، ص107.

يوم الرداع: وهو يوم معركة فحل، إحدى معارك فتوح الشام، وقد جرت أحداثها بين المسلمين والرُّوم في منطقة من مناطق الأردن تسمى حالياً طبقة فحل، انظر: أحمد بن يحيى البلاذري (279هـ/892م)، **فتوح البلدان**، تحقيق: رضوان محمد رضوان، بيروت، دار الكتب العلمية، 1987م، ج1، ص118.

(19) القعقاع بن عمرو التميمي (40هـ/660م)، **الديوان**، جمع وتحقيق ودراسة: الدكتور حسن الربابعة، عمان، الاردن، 2007م، (ط1)، ص107.

(20) **عمرو بن معدي كرب الزبيدي حياته وشعره**، 88.

(21) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (852هـ/1448م)، **الإصابة في تمييز الصحابة**، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، بيروت، دار الكتب العلمية، 1995م، ج5، ص104.

(22) أحمد بن يحيى البلاذري (279هـ/892م)، **فتوح البلدان**، تحقيق: رضوان محمد رضوان، بيروت، دار الكتب العلمية، 1987م، ج1، ص154.

(23) عبدالقادر بدران، **تهذيب تاريخ ابن عساكر**، بيروت، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر، 1987م، ج5، ص403.

(24) **عمرو بن معدي كرب الزبيدي حياته وشعره**، ص133. الرَّاهش: العصب التي تظهر في ظاهر الذراع، مادة "رَهَشَ". دلاصاً: الدّرع اللَّين البرَّاق الأملس، مادة "دَلَصَ".

(25) **عمرو بن معدي كرب الزبيدي حياته وشعره**، ص253.

(26) **عمرو بن معدي كرب الزبيدي حياته وشعره**، ص133. ذي فائش: "وادٍ يقع في اليمن"، الحموي، معجم البلدران.

(27) **عمرو بن معدي كرب الزبيدي حياته وشعره**، ص164.

(28) **عمرو بن معدي كرب الزبيدي حياته وشعره**، ص196.

(29) **القعقاع بن عمرو التميمي الديوان**، ص43.

(30) **القعقاع بن عمرو التميمي الديوان**، ص63.

(31) **فتوح الشام**، ج1، 211.

(32) ياقوت الحموي (626هـ/1229م)، **معجم البلدان**، بيروت، دار صادر، 1977، ج2، ص412.

(33) عبدالقادر البغدادي (1093هـ/1682م)، **خزانة الأدب**، تحقيق: إميل يعقوبي ومحمد طريفي، بيروت، دار الجيل، 1998م، ج3، ص550.

(34) **تاريخ مدينة دمشق**، ج2، ص107.

(35) **الأخبار الطّوال**، ص97.

(36) **القعقاع بن عمرو التميمي الديوان**، ص62.

(37) **القعقاع بن عمرو التميمي الديوان**، ص158.

(38) نوري جودت القيسي، **الفروسية في الشعر الجاهلي**، بغداد، مكتبة النهضة، 1964م، (ط1)، ص26.

(39) **القعقاع بن عمرو التميمي الديوان**، ص151.

(40) نهر "شير": وهو نهر يقع غرب المدائن، وبالقرب منه حدثت وقعة بين المسلمين والفرس، قُتل فيها أمير الفرس " شهريار"، حيث قتله رجلٌ من المسلمين يقال له "نائل الأعرجي"، للمزيد ينظر: إسماعيل بن عمر بن كثير، **البداية والنهاية**، تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن، مصر، دار هجر، 1997م، ج7، ص71.

(41) ذُعاف: سريعٌ، مادة "ذَعَفَ".

(42) عواف: ما يصطاده الإنسان ليلاً، مادة "عَوَفَ".

(43) **القعقاع بن عمرو التميمي الديوان**، ص109.

(44) **القعقاع بن عمرو التميمي الديوان**، ص143.

(45) **خزانة الأدب**، ج1، ص556.

(46) أبو الفرج الأصفهاني (356هـ/967م)، **الأغاني**، تحقيق: إحسان عباس وآخرون، بيروت، دار صادر، 2008م، (ط3)، ج7، ص441.

Alhawamishu:

- Alnueman eabdalmutaeal alqadi, shaer alfutuh al'iislamiat fi sadr al'iislami, maktabat althaqafat al'adabiati, 2005, (ta1), sa31.
- Shaer alfutuh al'iislamiat fi sadr al'iislami, sa32.
- Hnna alfakhuri, aljamie fi tarikh al'adab alearabii - al'adab alqadim -, bayrut, dar aljil, 1951, (tu1), sa385.
- Shikri fayusalu, almujtamaeat al'iislamiat fi alqarn al'awal hijri, bayrut, dar aleilm lilmilayin, 1973, sa347.
- Muhamad bin eumar alwaqidii (t130h/747mi), fatuh alshaami, tahqiqu: eabdallatif eabdalrahman, bayrut, dar alkutub aleilmiati,1997, (ta1), ja1, sa44.
- Futuh alshaami, ja1, sa173.
- Futuh alshaam, ja1, sa45.
- Futuh alshaami, ja1, sa210.
- Ahmad bin dawuud aldiynuriu (282h/895mi), al'akhbar altawali, tahqiqu: hasan alziyni, bayrut, dar alfikr alhadith liltibaeat walnashri, 1988, sa97.
- Fatuh alsaam, ja1, sa284.
- Fatuh alshaam , ja2, sa120.
- Shawqi dayfi, tarikh al'adab alearabii fi aleasr aljahili, alqahiratu-masir, dar almaearifi, 1960, (11), sa205.
- Eamru bin muedi karb alzubaydii (21hi/642mi), hayatuh washaerahu, jame watahqiq matae altarabishi, dimashqa-surya, manshurat
- Majmae allughat alearabiati, 1985, (tu2), sa80.
- Eamru bin muedi karb alzubaydii hayatah washaerahu, s 133.
- Jamal aldiyn abn manzur (711hi/1311mi), mukhtasar tarikh dimashqa, tahqiqu: ruhiat alnnhhas wamuhamad alhafizi, dimashqa, dar alfikri, 1990, ja21, sa89.
- Fatuh alshaami, ja1, si7.
- Salah aldiyn alsafadiu (764h/1362mi), alwafi balufyat, tahqiqu: 'ahmad al'arnawuwt waturki mustafaa, bayrut, dar 'iihya' alturath alearabii, 2000m, (ta1), ja8, sa122.
- Eali bin alhasan bin hibat allh bin easakir aldimashqii (571h/1175mi), tarikh madinat dimashqa, tahqiqa: eumar aleumrui, birut, dar alfikri, 1995m, ja2, sa107.
- Yawm alridae: wahu yawm maerakat fahala, 'iihdaa maearik futuh alshaami, waqad jarat 'ahdathuha bayn almuslimin walrrum fi mintaqat min manatiq al'urduni tusamaa halyaan tabaqatan fahil, anzur: 'ahmad bn yahyaa albaladhiria (279ha/892mi), fatuh albildan, tahqiqa: ridwan muhamad ridwan, bayrut, dar alkutub aleilmiati, 1987m, ja1, sa118.
- Alqaeqae bin eamrw altamimi (40hi/660mi), aldiywan, jame watahqiq wadirasatu: alduktur hasan alrababieati, eaman, alardin, 2007ma, (ta1), sa107.
- eamriw bin muedi karb alzubaydii hayatuh washaerahu, 88.
- 'ahmad bin eali bin hajar aleasqalanii (852h/1448mi), al'iisabat fi tamyiz alsahabati, tahqiqu: eadil 'ahmad eabdalmawjud waeali muhamad mueawad, bayrut, dar alkutub aleilmiati, 1995m, ja5, sa104.

- 'ahmad bin yahyaa albaladhuri (279hi/892mi), fatuh albildan, tahqiqa: ridwan muhamad ridwan, bayrut, dar alkutub aleilmiati, 1987m, ja1, sa154.
- eabdalqadir badran, tahdhib tarikh aibn easakiri, bayrut, dar 'iihya' alturath alearabii liltibaeat walnashri, 1987m, ja5, sa403.
- eamru bin muedi karb alzubaydii hayatah washaeruh , sa133.
- alrrahsh: aleasab alati tazhar fi zahir aldhiraei, madatan " rahash ".
- dlasaan: alddre allalyn albrraq al'amlas, mada " dalas ".
- eamru bin muedi karb alzubaydii hayatah washaeruh , sa253.
- eamru bin muedi karb alzubaydii hayatah washaeruh , sa133.
- dhi fayish: " wad yaqae fi alyaman ", alhamwy, muejam albildiran.
- eamru bin muedi karb alzubaydii hayatah washaeruh , sa164.
- eamru bin muedi karb alzubaydii hayatah washaeruh , sa196.
- alqaeqae bin eamrw altamimi aldiywan, sa43.
- alqaeqae bin eamrw altamimi aldiywan, sa63.
- fatuh alshaami, ja1, 211.
- yaqut alhamawi (626h/1229mi), muejam albildan, birut, dar sadir, 1977, ja2, sa412.
- eabdalqadir albaghdadi (1093h/1682mi), khizanat al'adbi, tahqiqu: 'iimil yaequbi wamuhamad tirifi, birut, dar aljili, 1998m, ja3, sa550.
- tarikh madinat dimashqa, ja2, si107.
- al'akhbar alttwal, sa97.
- alqaeqae bin eamrw altamimi aldiywan, sa62.
- alqaeqae bin eamrw altamimi aldiywan, sa158.
- nuri jawdat alqaysi, alfurusiat fi alshier aljahili, baghdadu, maktabat alnahdati, 1964m, (ta1), si26.
- alqaeqae bin eamrw altamimii aldiywan , sa151.
- nahr "shir": wahu nahr yaqae gharb almadayini, wabialqurb minh hadathat waqeat bayn almuslimin walfurs, qutl fiha 'amir alfurs " shahryar", hayth qatalah rjl min almuslimin yuqal lah "nayil al'aerji", lilmazid yanzari: 'iismaeil bin eumar bin kathirin, albidayat walnihayata, tahqiqu: eabdallah bin eabdalmuhsan, masra, dar hijr, 1997m, ja7, sa71.
- dhueaf: sryeun, mada "dhaeafa".
- eawafi: ma yastaduh al'iinsan lylaan, mada "eawafa".
- alqaeqae bin eamrw altamimi aldiywan, sa109.
- alqaeqae bin eamrw altamimi aldiywan, sa143.
- khizanat al'adbi, ja1, sa556.
- 'abu alfaraj al'asfahani (356hi/967mi), al'aghani, tahqiqu: 'iihsan eabaas wakhrun, birut, dar sadir, 2008ma, (ta3), ja7, sa441.